فريديريك نيتشه والنقد الفلسفي لعلم المنطق

Friedrich Nietzsche and the Philosophical Criticism of Logic

د. لكحل فيصل
أستاذ محاضر (أ)
جامعة ابن خلدون- تيارت
faysal.lakehal@univ-tiaret.dz

تاريخ الارسال :2020/09/28	تاريخ القبول:2020/10/17	تاريخ النشر:2020/10/31

ملخص:

إن الهدف من المقال هو محاولة بيان طبيعة النقد الفلسفي الذي وجهه الفيلسوف الألماني المعاصر فريديريك نيتشه (1844 -1900) لعلم المنطق كما ظهر عند الفلاسفة اليونانيين الأوائل، وكما تطور في الفلسفة الحديثة مؤسسا للميتافيزيقا والعقلانية الغربية، من خلال التساؤل عن الأسس التي استند عليها هذا النقد؟ ومدى مشروعيته الفلسفية؟ ومن ثم التساؤل عن مبررات ومسوغات تحول النقد الفلسفي من نقد علم المنطق اليوناني إلى نقد العقلانية والميتافيزيقا الغربية؟

Abstract :

The aim of the article is to try to explain the nature of the philosophical criticism directed by the contemporary German philosopher Friedrich Nietzsche (1844-1900) to the science of logic as it appeared among the early Greek philosophers and as it developed in modern philosophy, the founding of Western metaphysics and rationalism.

By asking about the foundations on which this criticism was based? And the extent of his philosophical legitimacy? And then the question about the justifications and rationale for the transformation

of the philosophical criticism from the criticism of the science of Greek logic to the criticism of rationality and Western metaphysics?

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة، النقد، الميتافيزيقا، المنطق، العقلانية.

keywords:

Philosophy, criticism, metaphysics, logic, rationalism .

- مقدمة وإشكالية البحث:

تعتبر فلسفة فريديريك نيتشهFriedrich Nietzsche (1844 -1900) من بين أهم الفلسفات المعاصر التي أحدثت تحولا جذريا في مسار تاريخ الفلسفة، ونظرا إلى ما أحدثته فلسفات ما بعد الحداثة من تغييرات في منظومة التفلسف والنقد اتجاه الفلسفات السابقة، ومحاولة تجاوز الميتافيزيقا التقليدية وفلسفات الذاتية الحديثة التي أسس لها ديكارت René Descartes 1596- 1650م واكتملت مع النسق الهيجلي Georg Wilhelm Friedrich Hegel، نجد أن فلسفة نيتشه تعتبر منعطفا حاسما ونقطة تحول مفصلية مؤسسة لكل ما سيأتي بعدها من توجهات فلسفية شهدتها الفلسفة المعاصرة سواء من حيث التأثر بها ومحاولة استثمار أفكارها في قراءة ماضي الفلسفة أو من حيث إعادة توجيه مسارها وفق منظور جديد.

ويرتبط نقد نيتشه للفلسفات السابقة بنقده أساسا لمبحث الميتافيزيقا في الفلسفات اليونانية القديمة، وصولا إلى المذاهب الفلسفية الكبرى مع أفلاطون Plato 347-427 ق.م وأرسطو Aristote 384-322 ق.م. خصوصا. والتأمل في فلسفتي أفلاطون وأرسطو يكشف أن هناك توليفا نسقيا بين الميتافيزيقا والمنطق، يكشف هذا التوليف على أن الميتافيزيقا استندت على المنطق من أجل تبرير تصوراتها وبناء مفهوماتها وتبرير حججها.

ولكن ما هو النقد الفلسفي الذي قدمه فريديريك نيتشه لعلم المنطق بالمفهوم اليوناني القديم " أفلاطون/ أرسطو"، وما هي المبررات والتدعيمات التي اعتمد عليها في محاولة التأسيس لهذا النقد؟ ثُمَ كيف جعل من هذا النقد مطية لنقد وتجاوز الأنساق الفلسفية الحديثة التي اعتمدت على المنطق الفلسفي في محاولة التأسيس لمذاهبها؟

1- نقد أسس علم المنطق بالمفهوم اليوناني:

لا بد التأكيد في البداية على أن هناك اختلاف في تصور مفهوم علم المنطق بين أفلاطون وأرسطو، لأن علم المنطق لم يظهر بالصفة الفعلية والنسقية له إلا مع أرسطو طاليس من خلال مشروعه الفلسفي الذي يرمي إلى جعل المنطق أداة تَعصمُ الفكر من الوقوع في الخطأ، ومن ثم تأسيس الفلسفة على دعامة المنطق كعلم.

ولكن التأمل في فلسفة أفلاطون يبين أن أفلاطون قد حاول بشكل ما على أن يعتمد على المنطق في بناء نسقه الفلسفي، لأن التأسيس لمفهوم التصورات الكلية يحتاج إلى العقل الذي يبني ويرتب وينظم تصوراته ومن ثم إمكانية المعرفة التي تجد مرتكزاتها في علم المنطق.

ارتبط نقد نيتشه لفلسفة أفلاطون انطلاقا من مواقفه وأرائه ضد الميتافيزيقا والمنطق، ذلك أن النسق الذي أست له فلسفة أفلاطون يأخذ بالمبادئ الكلية للعقل على أنها مصدر المعرفة، و"ينتهي نيتشه إلى القول بأن أصل العقل لا عقلي، وأن أصل المنطق لا منطقي"[1]، إن ملكة العقل تجد مصدرها وأصلها في ما هو غير عقلي، لأن العقل الإنساني يتصور الحقيقة من زواية مبادئه وملكاته متجاوزا القدرات والملكات الإنسانية الأخرى. وأفلاطون لم يمنح للعقل تلك القدرة على المعرفة والوجود سوى لأنه أنكر الجسد والقدرات الحيوية في الإنسان، وهو بذلك يؤسس للميتافيزيقا الغربية التي ستأتي بعده.

[1]- جمال مفرج، "نيتشه الفيلسوف الثائر"، دار إفريقيا الشرق، بيروت –لبنان، 2003، ص57.

كما أن المنطق الذي يستند عليه العقل في إثبات قدرته على المعرفة والوجود يقوم على مبادئ ينتجها العقل من تلقاء ذاته، فهي من صميم العقل، وليست ملزمة كقوانين عامة للفكر ، ذلك أن الفكر الذي يفكر في موضوعات الفكر والوجود لا يحتكم إلى قوانين ينتجها من تلقاء ذاته ثم يفرضها كقوانين ملزمة للفكر ذاته.

ولهذا نجد أن نيتشه ينتقد مبادئ المنطق التي أسس لها أرسطو ومن قبله أفلاطون، "وأولها هو مبدأ الهوية الذي يثبت أن الشيء هو هو وليس غيره، وهو الذي يؤكد بقاء الشيء على حاله ومطابقته لذاته دوما، ولهذا فهو في نظر نيتشه، شرط للتفكير وليس شرطا للوجود، لأن المنطق لا يشتغل إلا بالمقولات والقضايا والصيغ الدالة على استمرار الشيء على حاله حتى يمكن إدراكه"[1].

إن مبدأ الهوية والحالة هذه يقوم على افتراض مسبق، يفترضه العقل ويسعى من خلاله إلى تأكيد ماهية الشيء من خلال الشيء ذاته، وهو معرفة الشيء من خلال طبيعته وخصائصه الذاتية، ولكن مبدأ الهوية يشرط التفكير الإنساني في موضوعات الأشياء لمعرفتها، وهو بالتالي لا يعرف خارج الشيء المدرك أو المعروف أي معرفة يمكنها أن تعرفنا به، ومن ثم فهو ليس مبدأ شامل يمكنه أن يعرفنا بطبيعة الأشياء وبوجود الموضوعات إلا على نحو ما يراه ويجزم به التفكير (مبدأ الهوية)، ولهذا فهو يقدم لنا معرفة ناقصة نحتاج إلى إثباتها باستمرار.

أما بالنسبة لـ"قانون عدم التناقض القائل بأن الشيء الواحد لا يتصف بصفة ونقيضها قائم على القانون السابق، ويدل على عجزنا عن إثبات شيء ونفيه في نفس الوقت، أو بالأحرى عجز العقل عن فهم الوجود المتناقض وصيرورته الدائمة"[2]، ذلك أن المنطق الذي يلزم ملكة التفكير في معرفة الأشياء بمنظور العقل يلغي ملكات وقدرات الإنسان الحيوية في المعرفة، فهو إنكار لغيره من المعارف، كما أن المنطق الذي

[1]- المرجع نفسه، ص56.

[2]- المرجع نفسه، ص56

ينظر إلى المعرفة على أنها مجموعة قوانين تعرف من زاوية واحدة، عاجز عن معرفة المتناقضات التي يحتويها الوجود، والتغيرات الحالة فيه. وبالتالي فإن مبدأ عدم التناقض مبدأ باهت مشتق من مبدأ الهوية، ولا يمكنه أن يضيف الجديد بالنسبة لقدرات العقل والمعرفة الإنسانية.

وبالشكل نفسه نجد نيتشه ينتقد مبدأ العلية، لأن "القول بالعلة والمعلول في نظره ليس إلا محاولة منا لتنظيم العالم على نحو يجعله معقولا، مقبولا، وبعثا لإيقاع منظم وسط عالم خلا من كل نظام وغائية. وتنسيقا لتلك الحوادث المتعاقبة التي تجري في نهر التحول الدائم وبعثا للمعقولية فيها"[1]، فمبدأ العلية باعتباره المبدأ الثالث من مبادئ المنطق هو مبدأ عقلي صرف من أجل فرض النظام على العالم، وترسيخ لمبدأ التفسيرات الغائية الصرفة، وبالتالي هو إنكار للتحول والتغير في الوجود الواقعي الحسي.

نجد أن أفلاطون ومن بعده أرسطو أسسا لمبدأ العلية والغائية من أجل تفسير الوجود من خلال المنظور العقلي الذي ينظر إلى العالم بمنظور مبادئ العقل، ومن أجل إخضاع الكثرة والتعدد والفوضى إلى الوحدة والنظام. لكن العالم متعدد ومختلف يحتاج إلى تأويلات تتجاوز مبادئ العقل، وتنفتح على الحياة الإنسانية في أبعادها ودلالاتها المختلفة.

2- من نقد المنطق إلى نقد العقلانية الميتافيزيقية الحديثة:

إن المنظور العقلي في الفلسفة اليونانية هو نفسه المنظور الذي أسس لكل تاريخ الفلسفة والميتافيزيقا الذي سيأتي بعدها، يقول بيير بودو "تتميز ثقافتنا بإيمانها بالعقل، وثقتها في نظام الأشياء والفكر، وتريد أن تكون "عقلانوية rationaliste "، بشكل أساسي، إنها هذه العقلانوية التي تبدأ مع طريقة سقراط، سقراط هذا بالضبط، الذي يدشن هذه الثقافة. إنها هذه العقلانوية ذاتها التي جمدت على امتداد

[1]- المرجع نفسه، ص57.

ألفي عام إطارات أفكارها في منطق أرسطو (....) وهي التي تجددت وابتدعت العلم مع الطريقة الديكارتية، وهي أيضا التي نقع عليها من جديد، مجددة من جديد في ديالكتيك هيجل وعبارته المشهورة "ما هو عقلاني هو واقعي وما هو واقعي إنما هو عقلاني"[1].

إن العقل الفلسفي الحديث وليد المنطق، وبالتالي العقلانية هي وليدة علم المنطق، "رفعت قضايا الفكر منذ بداية الفلسفة إلى قاض يقضي فيها وتمثلت هذه المؤسسة التي تذود عن حق الحكم العقلي بالدليل والبرهان في ما يسمى بـ "العقل". ولننتبه إلى أن كلمة "العقل" كما سرت في العربية لا تثير ما لها من أصداء معنوية وثقافية في لغات أخرى، كاليونانية واللاتينية والألمانية، وللتقريب فـ"اللوغوس"Logos اليوناني هو أقرب إلى المنطق في معنى اصطلاح المنطق"[2]، وإذا كان ديكارت René Descartes 1596- 1650م يحدد الذات الإنسانية ابتداء من "العقل" باعتباره مرجعية كل الأحكام فإن نيتشه يؤكد من جهته على المرجعية للإنسان والفرد من خلال مفهوم له يتخطى المفهوم الحداثي له[3].

تتوحد في هذا الأفق نظرة كل من بيير بودو ونيتشه ومارتن هيدغر Martin Heidegger(1989-1976) في منظورهم لتاريخ الفلسفة على أنه امتداد للشيء نفسه، تتطور وتتشكل الأنساق الفلسفية الغربية داخل مسميات مختلفة، ولكنها في تطورها وتشكلها تعيد الشيء نفسه، نجد عقلانوية rationaliste سقراط تعيد نفسها في فلسفة أفلاطون وفي منطق أرسطو، وهي المنظور الجديد الذي أسس له ديكارت في

[1]- بيير بودو، "نيتشه مفتتا"، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع بيروت-لبنان، ط1، 1996 ص38.

[2]- جاك دريدا، الكتابة والإختلاف"، ترجمة كاضم جهاد، تقديم محمد علال سيناصر، دار توبقال للنشر، ط2، 2000 ص8.

[3]- سعاد حرب، "الفرد والحداثة عند نيتشه"، مقال ضمن مجلة أوراق فلسفية، العدد الأول، نوفمبر، 2000، ص5.

مذهبه العقلاني. وقد اكتمل في النسق الهيجلي باعتباره خاتمة ظافرة للشيء نفسه (الروح، الذات، المطلق...).

يُعارضُ نيتشه بهذا الشكل الرُوحُ الفلسفية التي كانت تحكم الفلسفة قبله، "إنه يعارض عبارة سقراط "اعرف نفسك بنفسك" بتفوق ذلك الذي يفقد إلمامه بذاته، ويعارض الروح غير المتجسدة التي تجعل منها الفلسفة المثالية جوهر الإنسان، الـcogito-cogitatum الخاص بديكارت، الوعي المعزول والمنقطع عن عالم افتراضي إلى هذا الحد أو ذاك"[1].

إن ما يقف ضده نيتشه هو انتصار تاريخ الفلسفة للروح، أو الذات أو القدرات الفطرية والقبلية للمعرفة والوجود ضد الجسد والرغبات والأهواء والغرائز، في صراع أبلونApollo مع ديونيسيوزDionysos ، نجد فلسفة نيتشه تعيد الاعتبار للجانب الحيوي في الإنسان، وترفض كل الفلسفات الميتافيزيقية السابقة من خلال إعادة تفكير الجوانب المنسية واللاَّمفكر فيها في تاريخ الفلسفة. "يحكي لنا نيتشه في أفول الأصنام كيف أصبح عالم الحقيقة في النهاية حكاية، وكيف اختفى عالم الميتافيزيقا. العالم الأفلاطوني والمسيحي والمثالي الذي كان مرجع عالم الظواهر، ثم يتساءل: ماذا يتبقى لنا بعد هذا الاختفاء؟ أهو عالم الظواهر؟ فيجيب فليس اختفاء عالم الحقيقة حلولا للعالم الواقعي الذي تتحدث عنه الوضعية، إنه على العكس من ذلك، انهيار للإزدواجية ذاتها، للتقابل بين الحقيقة والظاهر، بين السطح والعمق، بين الواقع والخيال، ليصبح الخيال واقعا، وعالم الحقيقة حكاية"[2].

إن انهيار الأفلاطونية من خلال النقد الذي وجهته لها الفلسفات الوضعية والواقعية والتجريبية الحديثة لا يعد في منظور نيتشه دليلا عن التفلسف الحق،

[1]- بيار هيبر، سوفرين، "زرادشت نيتشه"، ترجمة أسامة الحاج، (د-ط)، 1994، ص87.

[2]- عبد السلام بن عبد العالي، "أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا"، دار توبقال للنشر، ط2، 2000، ص34.

"يحدد نيتشه مهمة الفلسفة، بل ومهمة الفلسفة كما يراها هو، كقلب للأفلاطونية، ويُظهرُ أن هذا القلب يعني القضاء على عالم الماهيات وعالم المظاهر"[1].

إن النقد النتشوي، نقد جذري وراديكالي يطال كل الفلسفات السابقة عليه، الشق الذي تنحدر منه الفلسفات الذاتية (أفلاطون، ديكارت، كانط Emmanuel Kant1724-1804، هيجلGeorg Wilhelm Friedrich Hegel ....)، والشق الذي تنحدر منه الفلسفات الموضوعية التجريبية والواقعية (فرنسيس بيكون Francis Bacon1561-1626، جون لوكJohn Locke 1632-1704، دافيد هيوم David Hume1711-1776م ....).

كما تؤسس فلسفة نيتشه إلى كل ما هو ضد المذاهب والفلسفات المثالية والعقلانية الكبرى التي ادعت امتلاك الحقائق النهائية والمطلقة. لأنه "لا يوجد بالنسبة لنيتشه مدلول أصلي. والكلمات نفسها ليست سوى تفسيرات قبل أن تكون دلالات، وهي في النهاية لا معنى لها، لأنها ليست سوى تفسيرات جوهرية"[2]، إن المقولات الكبرى التي قامت عليها الميتافيزيقا الغربية (الروح، الذات، المطلق...) ليست سوى تفسيرات وتأويلات ممكنة للمعرفة والوجود وليست حقائق مطلقة ونهائية.

يتجاوز نيتشه من خلال هذا النقد الفلسفات الميتافيزيقية الكبرى ويشق طريق العودة للفلسفات السابقة عن سقراط،أي الحكماء القدماء (طاليس المالطي Thalès نحو 624-546 ق.م ، بارمينيدسParménide 540-480 ق.م ، هيرقليطس Héraclite 54-580 ق.م ....) باعتبارهم أصل التفلسف الحق، يقول نيتشه "من المؤسف حقا ألا يبقى لدينا من نتاج معلمي الفلاسفة الأوائل إلا القليل، وأن يكون كل إنتاجهم، قد

[1]- المرجع نفسه، ص99.

[2]- فريديريك نيتشه، "الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي"، تعريب: د.سهيل القش تقديم مشال فوكو "نيتشه، فرويد وماركس"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان-بيروت، ط3، 2005، ص13.

أُفلتَ من بين يدينا، وبسبب هذه الخسارة فإننا نحكم عليهم لا إراديا انطلاقا من مقاييس خاطئة، ونظرا لانخداعنا بواقع أفلاطون وأرسطو قد كان لهما كثير من المعجبين والمقلدين، -وهذا يرجع إلى الصدفة- فإننا ننجر لسوء النية بالنسبة لأسلافهما"[1].

إن العودة إلى الفلسفات السابقة عن سقراط هي التي تحمل في ثنايها كل أسرار فلسفة نيتشه، لأنه يعتبر أن التفلسف الحق ظهر عند الحكماء القدماء قبل سقراط، وأن الفلسفات التي جاءت بعدها سقراط، أفلاطون وأرسطو والفلسفة الغربية برمتها، إنما هي انحراف عن المسار الحقيقي للحكمة الفلسفية الحقة.

- على سبيل الختام:

يمكن القول أن النقد الفلسفي الذي وجهه نيتشه لعلم المنطق، إنما يفهم في مجال علاقته بتاريخ الفلسفة، وأن نيتشه لم يخص بالنقد علم المنطق وفقط، إن نقده لعلم المنطق يأتي في سياق نقده لفلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو، ولتاريخ الميتافيزيقا والحداثة الغربية برمتها، كما أن نقد نيتشه لعلم المنطق هو نفسه النقد الموجه للفلسفات الميتافيزيقية التي أسس لها علم المنطق (الديكارتية والحداثة الغربية...)، ولكل الفلسفات التي جعلت من المنطق حاملا ضروريا للتفلسف.

إن التفلسف الحق بالمعنى النيتشوي يتجاوز كل الضرورات المنطقية ولا يُؤمنُ إلاَّ بحرية الفكر وقدراته وممكناته اللاّمتناهية.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- فريديريك نيتشه، "الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي"، ط3، تعريب: د.سهيل القش، تقديم مشال فوكو "نيتشه، فرويد وماركس"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، 2005 .

[1]- المصدر نفسه، ص44.

2- جاك دريدا، الكتابة والإختلاف"، ط2، ترجمة كاضم جهاد، تقديم محمد علال سيناصر، دار توبقال للنشر، 2000.
3- بيير بودو، "نيتشه مفتتا"، ط1، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1996.
4- بيار هيبر، سوفرين، "زرادشت نيتشه"،(د-ط)، ترجمة أسامة الحاج، 1994.
5- جمال مفرج، "نيتشه الفيلسوف الثائر"، (د-ط)، دار إفريقيا الشرق، بيروت –لبنان 2003.
6- عبد السلام بن عبد العالي، "أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا" ط2، دار توبقال للنشر، 2000.
7- سعاد حرب، "الفرد والحداثة عند نيتشه"، مقال ضمن مجلة أوراق فلسفية، العدد الأول، نوفمبر، 2000.